التفسير البياني في كتاب " التعبير الفني في القرآن " لبكري شيخ أمين
- دراسة نقدية -

The Rhetorical Interpretation in "The Artistic Expression in Quran" by Bakri Cheikh Amin- A Critical Study-

الدكتورة: بولشفار سعاد

قسم اللغة العربية- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة (الجزائر)

boulechfarsouad@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/06/12 تاريخ النشر: 2021/11/04ذ

ملخص:

يعدّ كتاب " التعبير الفني في القرآن " لـ "بكري شيخ أمين " عمدة من أعمدة التفسير البياني للقرآن الكريم، خاصة في بابه السادس، و تحت عنوان " تحليل أدبي من القرآن "، إذ وقف المؤلف على أسلوب القرآن الكريم مختارا بعض الآيات، مبرزا الإعجاز اللغوي والفني فيها،و مستعملا مصطلحات من العصر الحديث كمصطلح الفعل المنعكس الشرطي، و مصطلح كاريكاتور، و مصطلح الأنوماتوبيا و مصطلح التراكم ...و خروجا من مرحلة التسليم في مثل هذه الاستعمالات إلى مرحلة التحقيق في منهج هذه الدراسة الأدبية للقرآن، أردت في هذا البحث أن أقف وقفة نقدية لما جاء في هذا الجزء من الكتاب.

الكلمات المفتاحية: التفسير البياني؛ الفعل المنعكس الشرطي؛ كاريكاتور؛ الأنوماتوبيا؛ التراكم.

Abstract:

The book "The Artistic Expression in Quran" by Bakri Cheikh Amin is one of the major books in the rhetorical interpretation of the Quran, especially in its sixth chapter, titled " Literary Analysis from the Quran", wherein the author studied the style of the Quran, relying on some verses, highlighting their linguistic and artistic inimitability, using some modern terminology such as conditional reflex, caricature, onomatopoeia and

المنارة للاستشارات

ww

accumulation. Moving from the “acceptance of terminology” phase to the “verification” phase in this literary study of the Quran, I opted for a critical study of this book.

key words*:* rhetorical interpretation; conditional reflex; caricature; onomatopoeia; accumulation.

المقدمة

لا أحد ينكر فضل استثمار علوم اللغة العربية بمختلف مستوياتها في الدرس القرآني عموما و الدرس البياني خصوصا و فضل استثمار العلوم المختلفة الكونية و الإنسانية أيضا. و لقد انبرى العلماء اللغويون و المفسرون في الكشف عن المعاني القرآنية في عصور مختلفة و متباعدة بمؤلفاتهم. و لقد مرت الدراسات القرآنية بخصائص تأكدت في نتائج و مناهج كشفت عن الإعجاز اللغوي و البياني خاصة فيما اهتم بهذا الجانب. و لقد تميز العصر الحديث بالدرس البياني مع ثلة من الدارسين من بينهم " بكري شيخ أمين " الذي يعد كتابه " التعبير الفني في القرآن " من المراجع الأساسية للباحثين باعتباره إضافة للمكتبة القرآنية - كما كان يحبذ سيد قطب أن يدرج مؤلفاته ضمنها – و مما ميز كتابه في الباب السادس استثمار المؤلف لجملة من المصطلحات اللغوية و الأدبية و الفنية و حتى من علم النفس، و التي تعد محتوى هذه الدراسة النقدية التي أثارت التساؤلات عن مدى أهميتها في الدرس القرآني البياني باعتباره بابا من أبواب الإعجاز الفني و الجمالي الذي يأسر القلوب و يغذي العقول؟ و عن مدى توفيق بكري شيخ أمين في استثمارها و بلوغ نتائج معينة أرادها أن تكون حاضرة في درسه البلاغي القرآني؟ و عليه هدفت هذه الدراسة من خلال استقراء الباب السادس الوقوف على هذه المصطلحات - و التي تعد مفاتيح العلوم - و مدى انسجامها أو عدم انسجامها مع ما اختاره من آيات سلك فيه - أقصد الباب السادس - عدم مراعاة ترتيبها في المصحف.

كتاب " التعبير الفني في القرآن " في سطور

من الكتب الحديثة التي اعتنت بما يتعلق بالقرآن الكريم من جانب علومه من مكي و مدني و علم التفسير و الإعجاز و غيرها. و كذلك من جانب أسلوبه و هو الباب السادس و الذي جاء بعنوان " تحليل أدبي من القرآن " حيث اعتنى فيه المؤلف بالتفسير البياني لبعض الآيات القرآنية، معتمدا على جملة من المصطلحات

المنارة للاستشارات

المعينة في إبراز الجانب الإعجازي مقربا الفهوم من خلال استعمالها. مبينا تعبيرات القرآن الفنية و التي تميز بها. و قد بيّن في مقدمة الكتاب اتجاهه لدراسة القرآن قائلا: << و دراستنا للقرآن لن توجه على أنه كتاب تشريعي، و لا على أنه أصل ديني، بل على كونه كتابا يقف في قمة البلاغة العربية، و الأسلوب الذي أعجز الفصحاء على أن يأتوا بمثله، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا. و الوقوف على سر الجمال يقتضي تعرف العناصر التي تألف منها هذا البناء أو الهيكل. لذلك وقفنا طويلا عند دراسة المفردة القرآنية، و التعبير، و الصورة، و الوجوه المختلفة للتراكيب، سواء أكونت [ربما كانت]موعظة أو قصة، أو قاعدة اقتصادية، أو اجتماعية، أو سياسية. ثم توجنا الدراسة بتحليل أدبي لعدة من السور و الآيات، لا ندعي أنها جاءت على ما نريد لها من الكمال، بل كانت جهد الطاقة و قدر المستطاع >>[1].

و عليه يعتبر هذا الكتاب عمدة من أعمدة التفسير الأدبي خاصة في بابه السادس، ناهيك عن الأبواب السابقة فيه. و مثال جوانب القوة على سبيل المثال لا الحصر في كتابه حديثه عن المفردة القرآنية؛ إذ قال: << و إذا سألت عن السر في كون مفردات العربية لم تعط ما أعطته جميع هذه المفردات مع أنهما من فرع واحد، فاعلم أنه النظم و لا شيء سواه، و الذي نعنيه بالنظم: ما نعنيه بنظم الجوهرة إلى جانب الجوهرة ليكون منها العقد الفريد >>[2].

التفسير البياني من الناحية التاريخية

لقد انبرى العلماء لخدمة القرآن الكريم في عصور مختلفة تحديدا من عصر صدر الإسلام. و عليه لا يمكن لأحد مهما كانت قوته العلمية أن يحيط بكل التآليف التي عملت من أجل إبراز الإعجاز اللغوي و البياني. بداية من التأليف في غريب القرآن إلى ما شاء الله من التفاسير و الدراسات و الأطروحات و غيرها حتى وقتنا الحالي . و في هذه العجالة يجدر الإشارة إلى جملة من المؤلفات التي كان لها دور في التفسير البياني و الذي نتج عنه كشف جماليات القرآن الكريم و من هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

أ- كتب غريب القرآن

تعد كتب غريب القرآن من أهم بدايات التأليف و التي بها كشف عن المعنى اللغوي بحسب ما ورد في لغة العرب أو عن المعنى القرآني الذي اقتضاه السياق.و من بين العلماء الذين استدل بعلمه القرآني الوافر في مجال التفسير البياني " عبد الله بن عباس" الذي عرف بعلم غريب

المنارة للاستشارات

القرآن والذي يعد من المفاتيح المبينة للمعاني القرآنية خاصة فيما أكد من مسائل نافع بن الأزرق. << و كان من جملة ما سأله فيه

نافع أن قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ الجن 3: قال عظمة ربنا ... و قوله تعالى : ﴿ وَحَنانًا مِن لَدُنّا.... ﴾ مريم 13 قال رحمة من عندنا >>3.

ب- كتب علوم القرآن

ثم كان للدرس التراثي البلاغي في كتب علوم القرآن قديما و حديثا حضور قوي ؛ و من أبرزها " البرهان في علوم القرآن " الذي حفل بجوانب كثيرة من الدرس البلاغي القرآني و كذلك كتاب " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي. الذي درس بلاغة المجاز من جانب الجملة القرآنية المستقلة عما قبلها و عما بعدها من الآي .حتى نصل إلى كتاب " مناهل العرفان في علوم القرآن " لعبد العظيم الزرقاني الذي احتوى وجهات نظر و دراسات قرآنية عديدة و الأمثلة كثيرة لمن أراد أن يطلع على هذه المؤلفات .

ج- كتب البلاغة

أما عن الدرس البلاغي و البياني للقرآن فقد استثمرت فيه القواعد البلاغية من ذلك كتاب أسرار البلاغة في علم البيان لعبد القاهر الجرجاني الذي أبدع في كشف جماليات الاستعارة القرآنية على سبيل المثال لا الحصرو من بين الأمثلة قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعناهُم فِي الأَرضِ أُمَمًا ﴾ الأعراف 168 إذ قال: << و مثله أن " القطع " إذا أطلق فهو لإزالة الاتصال من الأجسام التي تلتزق أجزاؤها. و إذا جاء في تفريق الجماعة و إبعاد بعض ...كان شبه استعارة، و إن كان المعنى في الموضعين على إزالة الاجتماع و نفيه >>4.

د- كتب التفسير

أما كتب التفسير و الدراسات القرآنية التي لا تعد و لا تحصى فلا يجهل فضلها في مجال الدرس البياني؛ إذ استثمرت الدرس التراثي البلاغي و اللغوي بمصطلحاته المتداولة؛ منها كتاب الكشاف و هو قديم للزمخشري الذي أشاد في مقدمة تفسيره بعلمي البيان و المعاني. و منها كتاب

المنارة للاستشارات
ww

سيد قطب في ظلال القرآن و التصوير الفني وهما من العصر الحديث و كتاب التفسير البياني لعائشة عبد الرحمن، و كتاب صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني و هو معاصر. و كتاب آخر لإبراهيم السامرائي" من بديع لغة التنزيل" و من بين ما جاء في هذا الكتاب تفسيره لقوله عزوجل : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة 15 اعتمادا على الزمخشري ما يلي: << قال الزمخشري (الكشاف 1/ 69) و العمه مثل العمى، إلا أن العمى عام في البصر و الرأي خاصة، و هو التحير و التردد، لا يدري أين يتوجه >>5.

إضافة إلى ما ذكر فإن مصطلح التفسير البياني من الناحية التاريخية و معالمه << فقد وزعت بين كتب الإعجاز و كتب البلاغة، و في كثير من الصفحات المتقاربة في كتب التفسير – على اختلاف ألوانها – و في بعض الصفحات المتباعدة في كتب الأدب و الثقافة العامة، و بخاصة كتب الأمالي، و قد اشتهرت بعض التفاسير بعنايتها بإظهار مواطن البلاغة و الإعجاز في النص القرآني، مثل كتاب " الكشاف " للزمخشري >>[6] أما مجاله كما جاء عن ابن خلدون << هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب >>[7] << و الأصل في منهج التفسير الأدبي أو البياني: أن يقوم الدارس على دراسة النص القرآني و تحليله على نحو ما يفعل في سائر النصوص الأدبية العالية من منظوم و منثور >>[8]. و لكن بشرط الالتزام ببعض قواعد التفسير حتى لا يخطيء الدارس في فهم المعنى المراد و تضيع عليه من ثم فهم المفردات و التراكيب و نواحي البيان ص 224 >>[9] ثم إن << سبب النزول يقوم مقام معرفة المناسبة و حال المتكلم المخاطب >>[10].

الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة أدبية

رأى بعض المحدثين ضرورة تقدم الدراسة الأدبية للقرآن على أية دراسة أخرى لهذا الكتاب الكريم[11] بسبب أن الدراسة الأدبية ممهدة للدراسات الأخرى كما جاء عن عائشة عبد الرحمن التي ترى أن الذين يعنون بدراسة نواحي أخرى فيه و التماس مقاصد بعينها فيه، لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئا دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ و يهتدوا إلى أسراره البيانية >>[12] و هذا حتى لا يختلط عليهم الأمر أو يغيب عنهم شيء من مدلول اللفظ القرآني و إيحاء التعبير به[13]. و يستوي في هذا الهدف ممن يستخرج الأحكام الفقهية و المستبين للمواقف من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية أو كان مفسرا[14]. و هذا ما أكدته " عائشة عبد الرحمن " في هذه الفقرة إذ قالت : << الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم، يجب أن تتقدم كل دراسة أخرى فيه، لا لأنه كتاب العربية فحسب و لكن – كذلك – لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه، و التماس

المنارة للاستشارات

مقاصد بعينها منه، لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئا دون أن يفقهوا أسلوبه الفريد و يهتدوا إلى أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالاته ...فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية، أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية ، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم ...فهو مطالب بأن يتهيأ أولا لما يريد، و يعد لمقصده عدته: من فهم مفردات القرآن و أساليبه فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي و لمح أسراره في التعبير >>[15] و أما الأصل في منهج التفسير البياني للقرآن فيعتمد على هذه النقاط:

1- التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام.
2- فهم ما حول النص.
3- فهم دلالات الألفاظ.
4- فهم أسرار التعبير.[16]

منهج بكري شيخ أمين في تفسيره البياني

قبل الوقوف على استعمال بكري شيخ أمين لبعض المصطلحات ينبغي الإشارة إلى أمرخاص بمنهجه أثناء المعالجة البيانية إذ لم يلتزم بدراسة الآيات القرآنية وفق ترتيبها في المصحف، فقد بدأ بسورة القلم، ثم الزخرف، ثم الإسراء، ثم الحجرات. إضافة إلى هذا فقد نهج منهجا معينا في تفسير الآيات المختارة باستعمال مصطلحات لتقريب المعاني للقراء، و لهذا السبب كان الهدف من هذه الدراسة تتبع المصطلحات بتأملها و إعادة النظر في سياقها الذي انتسبت إليه ، و ذلك بطرح جملة من الأسئلة التي مفادها هل استعمال مثل هذه المصطلحات مناسبة إلى حد بعيد أم لا؟

استثمار المصطلحات العلمية و البلاغية و الفنية

عالج بكري شيخ أمين النص القرآني باستثمار بعض المصطلحات التي استعملت في ميدان العلوم و البلاغة و الفنون؛ إذ تثير بعضها تساؤلات كثيرة من إدراك الهدف من استعمالها ؟ و هو القائل: << من المعلوم أن أبحاث القرآن كلها تتجه

المنارة للاستشارات
ww

إلى غاية واحدة، هي دعوة الناس إلى الإيمان بالله، و اتباع هديه، و التصديق برسالة محمد، و سلوك الصراط المستقيم >>[17] و من هذه المصطلحات:

1- مصطلح " الفعل المنعكس الشرطي" (مصطلح علمي)

و في حديثه عن موضوع (النبأ العظيم) - و هو ما افتتحت به السورة القرآنية و هو يعرض له بالتحليل الأدبي، ما يفتأ الباحث أن حاد عن الهدف البياني باستعمال مصطلح " الفعل المنعكس الشرطي " و بجانبه باللغة الأجنبية reflex و هو يعالج الأمر من جانب " السحر و الإعجاز و روعة الأداء"[18] كما جاء عنه " هذا من جانب المعنى، أما من حيث السحر و الإعجاز و روعة الأداء فنجده في هذا السؤال المفاجيء المدوي الذي افتتحت به السورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ النبأ1 ثم في هذا التفسير لِكُنْهِ السؤال "﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ النبأ 2 " و في الجواب الذي هو أشبه ما يكون برد الفعل المباشر الذي يسميه علماء النفس بالفعل المنعكس الشرطي " الذي ربطه في فقرة طويلة بقائد السيارة الذي يقود سيارته حتى يفاجئه طفل أو سيارة، فما عليه إلا أن يتعامل مع الموقف بالفعل المنعكس الشرطي << فإذا هو فجأة و بدون تفكير أو

شعور، يرفع رجله عن ضاغط الوقود يضعها على الكابح... و في الوقت ذاته يغير بيده مفتاح الحركة فينزله ... إنه يفعل ذلك بحركات آلية >>[19] والسؤال المطروح لماذا أدرج " بكري شيخ أمين " هذه الفقرة التي ينعكس فيها رد الفعل لقائد السيارة عندما يباغته طفل أو سيارة، ما الشيء الذي أضافه في توضيح قوله عزوجل : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) و في الكشف عن الجواب. ثم يسترسل قائلا: << و لو سألت قائد السيارة: لم فعلت ذلك ؟ أجابك: لأن ذلك يعني كذا.

و يفصل لك أسباب عمله، و يشرح لك مغزى كل حركة، و لا يملك في النهاية إلا أن تقره على ما فعل، و تؤمن بما جاء به >>[20] ثم يواصل قائلا : " و نعود إلى الآيات لنعرف ماذا سيعلمون ".[21] و من خلال ما ذكر إن مثل هذه الفقرة تعد حشوا لا يزيد من الإيضاح شيئا لأنه لا علاقة بقوله عزوجل (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) بقائد السيارة الماهر الذي يوقف سيارته ليتفادى الكارثة. فالمقصود من هذا الافتتاح القرآني أن هناك فئة سوف تعلم عن الآخرة الشيء الكثير؟ و السؤال لماذا وظف الدارس هذه الفقرة التي تقطع عن المتلقي لذة التواصل مع المعالجة البيانية الحقة؟

2 - مصطلح كاريكاتور (مصطلح فني)

المنارة للاستشارات
ww

و هو يتحدث عن العتل الذي توعد الله عز وجل بنسمه على الخرطوم في قوله عز و جل:﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ القلم 16 استعمل مصطلح حديث و هو كاريكاتورية قائلا :" و الصورة التالية ساخرة أو كاريكاتورية"[22] و لعله يمكن الرد بأن الوصف القرآني حقيقة مرتبطة بالمصير والعاقبة لأنه إلهي، أما التصوير أو الرسم الكاريكاتوري فهو بشري محض، يعتمد على المخيلة، و بالتالي لا يجوز في حق الله إطلاقا أن نقول أن لله مخيلة تصف هذا العتل الزنيم في صورة كاريكاتورية.

و لو وقفنا على أدبية هذه الآية القرآنية عند " عائشة عبد الرحمن " لوجدنا الأمر مختلفا ففي تفسيرها للآية تقول :<< الآية على وجه الوعيد بالإذلال و الإهانة و التحقير، صدعا لكبرياء المغتر بماله و بنيه... و الخرطوم الأنف أو مقدمه. و شاع استعماله في الحيوان ...الفيل ...و العدول عن الأنف إلى الخرطوم في آية القلم، فيه ملحظ التحقير و الهبوط بآدمية ذلك المفتون الشرير الجافي اللئيم إلى دونية البهائم و الدواب >>[23].

3- مصطلح الحذف (مصطلح بلاغي)

مما يستوقف الناظر أيضا استعمال مصطلح الحذف من قبله و الحديث عن بلاغته - على اعتبار أن الدراسة متعلقة بكلام الله عزوجل – " و لا شك أن الحذف

سمة من سمات البلغاء"[24] و المعلوم أن البلغاء تطلق على جماعة من المخلوقين، فما علاقة الحذف في القرآن الكريم بهذه الجملة؟ و بالمقابل هل الحذف سمة من سمات الله عز وجل على أساس أنه بليغ، أم يستحسن لو أن الدارس جعل الجملة متعلقة بالبلاغة و هي لغير العاقل، أحسن من العاقل و هم البلغاء، فهل يدخل الله في جماعة البلغاء أم أن الله على اعتبار الخالق تفرد ببلاغة لا يمكن أن يشاركه فيها من خلق؟ و على اعتبار أن الأعلى يخاطب الأدنى، و بلاغة الأدنى لا تكون أبدا في مستوى بلاغة الأعلى.

4- مصطلح " الأونوماتوبيا (مصطلح فني)

ورد مصطلح " الأونوماتوبيا إذ قال: << عد معي إلى فكرة الأونوماتوبيا " التي ترجمناها بموافقة الصوت للصورة. و قل معي: إن أسلوب القرآن صوت و صورة و هذا الانسجام الهائل من أول القرآن إلى آخره هو الإعجاز الحق، الذي تاه عنه الدارسون و تعللوا بالتشبيه والاستعارة >>[25] و السؤال المطروح ماذا يريد المؤلف من جملة " تاه عنه الدارسون و تعللوا بالتشبيه و الاستعارة "؟

المنارة للاستشارات
ww

هل يرى أن استعمال مصطلح الأونوماتوبيا أصلح من استعمال التشبيه و الاستعارة ؟ و لعله يمكن الرد أن القدماء استعملوا مصطلحات عربية مثل الاستعارة و التشبيه من خلال استقراء كلام العرب فرأوا أن هذه المصطلحات تساهم إلى حد ما في بسط المعاني و إيصالها؛ سواء ما تعلق بالوحيين – القرآن و الحديث النبوي - أم بكلام البشر، أما المحدثون فقد استعملوا مصطلحات مثل الأونوماتوبيا - و هو مصطلح أجنبي غربي - للترويج لها.

و قد ذكر هذا المصطلح في تفسير أدبي لآيات من سورة الزخرف باستعمال جمل لا تليق بالقرآن الكريم منها قوله: << إن أسلوب القرآن شديد العناية بما نسميه " الأنوماتوبيا " أي اقتران الصوت بالصورة. و في هذه الآيات تلك "الأنوماتوبيا " واضحة في هذا التماوج الراقص، الرخي، الناعم، الصادح في الفقرة الأولى فالكلمات حملت الموسيقية و المعنى المتفق و هذه الموسيقى: غني راقص، و حياة باذخة، و أموال طافحة، و نعيم لذيذ >>[26] فهل يا ترى تليق كلمة الراقص في حق كلام الله عزوجل؟ و الرخي و الناعم؟ فيا ترى أي طريق أرادنا المؤلف أن نسلكه في التعامل مع القرآن و في استعمالات مثل هذه؟

5- التعبير بازدحام المدود و تراكم حركة الفتح (مصطلح صوتي)

مما يلفت الانتباه ما استعمله المؤلف من جمل مثل تجلي الإعجاز لكل ذي عينين و ازدحام المدود و تراكم حركة الفتح << أما الجانب الإيقاعي في هذا المقطع الخامس فإن فيه إعجازا يتجلى لكل ذي عينين. فإدغام في المطلع في النونات، وكثرة التنوين في المفردات، و ازدحام المدود في كل مقطع، و تراكم حركة الفتح على

الحروف، كلها تؤدي بامتداد الزمن إلى آفاق لا منتهى لها >>[27] و انطلاقا من هذا التعبير يفترض أن ما يصح ليكون مناسبا لكتاب الله تميز السورة القرآنية بوفرة المدود و توالها، و تأكيد حضورها القوي الذي ينسجم مع المعاني التي تضمنها. لأن كلمة ازدحام تدل على التزاحم، الذي يضفي ظلالا لا توحي بالحسن و هذا لا يصح على كتاب فيه من البلاغة و الفصاحة الكثير. و أما كلمة تراكم فهي الأخرى تلقي ظلالا لا يحسن التعبير بها البتة. و لعل ما يؤكد هذا الرأي هو الرجوع إلى المعجم العربي لشرح هاتين الكلمتين فالازدحام من << زحم و ازدحموا و تزاحموا: تضايقوا >>[28] أما التراكم فهو بمعنى << تراكم الشيء: اجتمع بكثرة، و ازدحام >>[29] و ليس هذا فحسب بل تأكيده على أن الإعجاز ممكن أن يتجلى لكل ذي عينين، فهل تستوي عين العالم بعين الجاهل بعين المبتدئ بعين الطالب في الجامعة و البائع في السوق ..إلخ؟ أم أن هذا التجلي هو حق للدارس

المنارة للاستشارات

و المجتهد و الناظر و المتأمل ذي العقل المدرك، المتبحر في علوم اللغة و علوم الشريعة و علوم الدنيا. لا لكل ذي عينين إلا إذا كان يقصد بالعين العين المجازية و ليس العين الحقيقية.

6- التجاوب الموسيقي (مصطلح فني)

استشهد بكري شيخ أمين بقول الناقد الفرنسي" بول فاليري" (1871- 1945 و هو من مشاهير الأدباء الفرنسيين المعاصرين و الذي اشتهر بنقده الفني و له مقالات و محاولات و دفاتر في 14 جزءا ظهرت بعد وفاته >>[30] و الذي قال:<< إن النص الخالد هو الذي يشكل معناه مع مبناه كلا لا يتجزأ، أو ما أسميه بالتجاوب الموسيقي >>[31] فما قصد المؤلف من وراء استشهاده بهذه الجملة التي لو نفتش عنها نجدها متعلقة بكلام البشر لا بكلام الله عزو جل؟ فهل خلود القرآن الكريم سببه فقط التحام المبنى مع المعنى أم أن القرآن كذلك << كتاب هداية و تشريع ... على ما احتوى عليه من حقائق كثيرة و إشارات متنوعة عن النفس و الصنعة و السنن الكونية و الحضارة و التاريخ و الاجتماع >>[32] مع التأكيد على << تنزيه النص القرآني عن الفروض العلمية و الآراء النظرية >>[33].

و لنعد إلى الفقرة و نقف عند قوله بعد ذكر قول "فاليري" أو ما أسماه بالتجاوب الموسيقي، فهل يوجد تناسق بين الجملة الأولى إن النص الخالد هو الذي يشكل معناه مع مبناه كلا لا يتجزأ و بين الجملة الثانية أو ما أسميه بالتجاوب الموسيقي؟[34] أم أن من المآخذ على كتاب التعبير الفني في القرآن هذا الإلصاق؛ بمعنى تميز تحليله الأدبي للسور القرآنية المختارة بوضع جملة بجانب جملة ليست لهما علاقة ببعضهما و لا تجاوب بينهما إطلاقا و لا تعلق.

7- الأسلوب المكي (المكي من مصطلحات علوم القرآن)

و يقع الشيخ مرة أخرى في خطأ ما كان ليقع فيه و هذا عند حديثه عن الصورة الكاريكاتورية التي جاءت في سورة القلم كما عبر عنها في الصفحة (271- 272) و هو قوله: << و ندرك الأسلوب المكي على حقيقته >>[35] فهل يقصد الشيخ أن الأسلوب المكي أسلوب ساخر على أساس ارتباط هذا التعقيب بالسياق؟ أم على أساس أن الشيخ يضطر إلى إلصاق بعض الجمل ببعض الفقرات مما يثير الكثير من التساؤلات؟ و هاهو يعود مرة أخرى في فلسفة تتعلق بالآيات

المنارة للاستشارات

المكية فيقول: << و نقف أمام هذه الآيات، فنجد شيئا مما تعودنا عليه في الآيات، و نفتقد شيئا آخر: إلا أن هذا الذي لم نجده جاء غيره تعويضا له >>[36] فما هو الشيء الذي لم يجده المؤلف؟

8-موافقة الكلمة لموسيقى النص أو موافقة الكلمة القرآنية للفاصلة القرآنية

تعوّد الكثير من الباحثين في مؤلفات كثيرة على تكرار ما ذكر سابقا في مؤلفات و أحيانا تكون بحرفيتها؛ مثال ذلك ما جاء في كتاب " التعبير الفني في القرآن " ما يتعلق بموافقة الكلمة لموسيقى النص القرآني " و أخيرا، فإنك واجد كلمة " المفتون " جاءت على صورة اسم المفعول، و كان المقصود بها في هذا السياق المصدر و هو " الفتنة " التي هي معنى من معاني الجنون، و ما ذلك إلا لأسلوب من أساليب العرب، و لكلمة المفتون وقع موسيقي ليس لكلمة " الفتنة" و لا لكلمة " الجنون" لأن أواخر الآيات قد جاءت على الصورة التالية: مجنون، ممنون، و يلائمها المفتون أكثر مما يلائمها الجنون.>>[37] و كأن التشكيل الصوتي أو البناء أهم من المعاني التي جاءت من أجلها الكلمة القرآنية، و كأنه لا وظيفة لهذه الكلمات فالمفتون جاءت لتلائم الفواصل - و هي أواخر الكلمات في الآيات القرآنية – و لعله حكم سريع جاهز وموجود في كثير من الكتب. رغم أن القرآن الكريم يرتكز على إيصال المعاني في أساليب متنوعة من أجل حكمة ما، و في سياق الآيات و السور.

و لعله يمكن القول قبل ذكر نتائج هذه الدراسة

كثيرة هي التعابير الإنشائية التي افتقرت إلى الدليل العلمي في كتاب " التعبير الفني في القرآن " و التي من شأنها بهذا الطرح الإنشائي لا تترك انطباعا علميا معينا في ذهن المتلقي مثال ذلك قوله << و لو ربطنا بين القاعدة البلاغية المقررة في كتب علم المعاني و هذه المفردات، و سياق النص وقفنا على روعة البلاغة وعلى الدقة المتناهية في استعمال المفردات القرآنية >>[38] و السؤال المطروح ماهي القاعدة البلاغية المقررة في كتب علم المعاني التي يقصدها بكري شيخ أمين " ؟ و في موطن آخر يقول << اقرأ " ﴿ يَسْطُرُونَ ﴾ القلم 1 " و مُدّ الراء بالضم مقدار ست حركات:

أي يجب أن تبقى مادّا الراء بالضم بمقدار ما تعد على أصابعك من واحد إلى ست ... و الآن اربط بين إطالة الصوت بالمدّ و معنى " يَسْطُرُونَ " و اربط بين المد الطويل و " ما أنت " و " مشاء " و بين المعنى و هكذا افعل في كل كلمة مددتها. أفلا تلاحظ الصوت قد انسجم مع الصورة و خرجت

المنارة للاستشارات
ww

بالشيء العجيب >>[39] أي شيء عجيب، نحن لسنا بصدد الإنشائية بل نحن أمام دراسة قرآنية تستوجب منا استثمار علوم اللغة العربية من نحو و صرف و بلاغة، أبمجرد ذكر المدّ كتشكيل صوتي تنسجم الصورة مع الصوت ؟ و هذا ليس متاحا على ما يعتقد إلا لمن خالط القرآن طويلا، وانطلاقا من هذا فقد << أقام تحليله على الذوق المرهف و ما تثيره مفردات النظم أو ضروب الفنية من استجابة لدى نفسية المتلقي >>[40].

الخاتمة

1- كتاب التعبير الفني في القرآن عمدة من أعمدة كتب علوم القرآن و التفسير البياني و هو ما جاء في بابه السادس و هو مدار هذه الدراسة.

2 - هذه جملة مما استعمله بكري شيخ أمين من مصطلحات و ما عبر به في خضم معالجاته البيانية لبعض الآي من القرآن، و التي فيها بعض التجاوزات التي لا تليق بكتاب الله عزوجل، بالرغم من أن الهدف من استعمالها كما يبدو تقريب أسلوب القرآن الكريم للقراء و للناشئة.

3- و كقراءة ثانية و متأنية فإن معالجته الأدبية للقرآن في الباب السادس تحتاج إلى دراسة نقدية تتسق مع ما جاء في نهاية مقدمة كتابه و الذي قال فيها:<< و لئن أخطأنا في بعض ما أتينا به، و رأيناه، إن عذرنا الوحيد أنا كنا مجتهدين في دراستنا، مخلصين في عملنا ...مندفعين إلى خدمة أبنائنا و إخواننا و تعريفهم كتاب الله تعريفا صادقا، لا يعتريه زيغ، و لا يدخله زغل >>[41]

4- تميزت المعالجة الأدبية في جوانب منها في إطار إنشائي عاطفي تفتقر إلى الدراسة البلاغية المعمقة ، لربما علتها تحكيم الذوق.

5- تميزت المعالجة الأدبية بالرغم مما قدم من ملاحظات لم يتفق من خلالها مع بكري شيخ أمين في منهج استثمار المصطلحات، إلا أن دراسته الأدبية تميزت بالقوة و بالدليل الذي ساعد على الكشف عن الخصائص الأسلوبية و البلاغية في الآيات المختارة.

6- و عليه فإن ما يوصى به الباحثون هو أن يتبعوا هذه الدراسة المتواضعة بقراءات أخر حتى نصل إلى كلمة سواء خاصة فيما استعمل من مصطلحات و الحذر من

استعمالها خاصة فيما تعلق بكتاب الله عز و جل و سواء ما جاء في كتاب التعبير الفني أو في كتب أخرى.

المنارة للاستشارات
ww

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1- أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم – تعريف بنحو ألف و نصف من المعاجم العربية التراثية دار الغرب الإسلامي : بيروت – لبنان، ط 1، 1987 م

2- إبراهيم السامرائي، من بديع لغة التنزيل، مؤسسة الرسالة : بيروت، دار الفرقان : الأردن، ط 2، 1407- 1986.

3- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق: بيروت- القاهرة، ط 1400،4هـ -1980م.

4- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ،دار الحديث: القاهرة، طبعة مراجعة ومصححة، 1434هـ -2013م، مج 4 (الأحرف : ر – ز – س)

5- عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن و علومه، دار القلم:دمشق- الدار الشامية: بيروت، ط2 ، 1419هـ- 1998 م.

6- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف،،ط7، 1990م.

7- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان، ط 1، 1422هـ- 2001 م

8- عمر حسن القيام، أدبية النص القرآني – بحث في نظرية التفسير-، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الولايات المتحدة الإمريكية، ط 1، 1432هـ – 2011م

9- جماعة من العلماء، المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق: بيروت، طبعة 39 منقحة و مزيد عليها، 2002م.

10- جماعة من العلماء، المنجد في الأعلام، دار المشرق: بيروت، الطبعة 25، 2002م.

المنارة للاستشارات

الهوامش

1- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق:بيروت- القاهرة، ط 1400-1980 4، ص 7-8

2- المرجع نفسه، ص 279

3 - معجم المعاجم – تعريف بنحو ألف و نصف من المعاجم العربية التراثية – أحمد الشرقاوي إقبال ، دار الغرب الإسلامي : بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1987 ، ص 6 .

4 - أسرار البلاغة ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، تح : عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان ، ص 41.

5 - من بديع لغة التنزيل ، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة : بيروت ، دار الفرقان : الأردن ، ط 2 ، 1407-1986 ، ص 14 .

6- عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن و علومه، دار القلم:دمشق- الدار الشامية:بيروت، ط2، 1419هـ-1998م، ص 223

7- المرجع نفسه، ص ن.

8- المرجع نفسه، ص 224

9- المرجع نفسه، ص ن

10- المرجع نفسه، ص 225

11- المرجع نفسه، ص 227

12- المرجع نفسه، ص ن

13- المرجع نفسه، ص ن

14- المرجع نفسه، ص ن بتصرف

15- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف،ط7، 1990م، ص 15

16- المرجع نفسه، ص 10-11 بتصرف

17- التعبير الفني في القرآن، ص 248

18- المرجع نفسه، ص 255 بتصرف

19- المرجع نفسه، ص ن

20- المرجع نفسه ، ص ن.

21- المرجع نفسه ، ص ن.

22- المرجع نفسه، ص 271.

23- التفسير البياني للقرآن ، ص 60-61

24- المرجع نفسه، ص 276

25- المرجع نفسه، ص 280

26- المرجع نفسه، ص ن

المنارة للاستشارات
ww

27- المرجع نفسه، ص 258
28- جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار الحديث: القاهرة، طبعة مراجعة و مصححة، 1434 -2013 ،مج 4،ر ز س، باب الزاي، مادة زحم،ص 351
29- جماعة من العلماء، المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق: بيروت، طبعة 39 منقحة و مزيد عليها، 2002، مادة ركم، ص 277.
30- المنجد في الأعلام ،ط 25، ص 404 بتصرف
31- التعبيرالفني، ص 259
32- مدخل إلى تفسير القرآن و علومه، ص 228
33- المرجع نفسه،ص 228
34- التعبير الفني في القرآن ، ص 259
35- المرجع نفسه، ص 272
36- المرجع نفسه ، ص 276
37- المرجع نفسه، ص 270
38- المرجع نفسه، ص 267- 268
39- المرجع نفسه، ص 272
40- عمر حسن القيّام، أدبية النص القرآني – بحث في نظرية التفسير- ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الولايات المتحدة الإمريكية، ط 1432،1-2011 ، ص 151
41- المرجع نفسه، ص 8

المنارة للاستشارات
ww